

المحاضرة الثانية

اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام والجامعي

وأساليب النهوض بها في الأردن

الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة الأردنية وعضو مجمع اللغة العربية الأردني

السبت 5 شعبان 1408هـ

الموافق 2 نيسان 1988م



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل:

## اللغة العربية بين اللغات القومية الأخرى

من البديهيات أن لكل لغة قومية مكانة خاصة عند الناطقين بها، يرتبطون بها بعقولهم وعواطفهم، ويدركون أنها مقوم أساسي من مقومات هويتهم المتميزة عن هويات غيرهم ولكن اللغة العربية، وهي تشارك اللغات القومية الأخرى في مكانتها عند الناطقين بها، لها من الخصوصيات ما يجعل مكانتها فريدة، قد لا تشاركها فيها أية لغة قومية أخرى، وذلك نتيجة لمجموعة من العوامل، أوجزها فيما يلي:

أولاً: لقد ارتبطت العربية بالعقيدة الإسلامية على نحو غير قائم بين لغة من اللغات وعقيدة من العقائد. فالقرآن الكريم تنزل باللغة العربية، وهي اللغة الوحيدة في حدود ما نعرف، التي ما تزال لغة حية يُقرأ بها كتاب مقدس بلغته الأصلية دونما تغيير أو تعديل، ودون أن تتحول إلى لغة كلاسيكية، لا يعرفها إلا نفر من المختصين أو من رجال الدين، مما يجعلها بحاجة إلى أن تُترجم إذا أريد لغير هؤلاء من الناس أن يفهموها ويتفاعلوا معها. وغني عن البيان أن عربية القرآن الفصحى هي اللغة التي دونت بها أحاديث رسول الله صلوات الله عليه، وهي اللغة التي كُتبت بها على وجه العموم مادة التراث الإسلامي الغزير، وهو تراث استوعب أنماط العلوم المعارف، ولم يقتصر على لون واحد من ألوان المعرفة الإنسانية. وليس من قبيل المصادفات أن الإنسان المسلم ما يزال حتى زمننا هذا يصلي بالعربية، ويسمع الأذان بالعربية، حيثما كان بلده، ومهما كان العرق الذي ينتمي إليه.

ثانياً: ومما يرتبط بالعامل أنف الذكر، وينبثق عنه، التواصل اللغوي بين حاضر اللغة العربية الفصيحة وماضيها، إذ إن هذا التواصل بين القديم والحديث قائم في اللغة العربية بصورة لا مثيل لها في اللغات الأخرى، ويكفي أن يطلع القارئ على كتابات باللغة الانجليزية، مثلاً، ترجع إلى أزمنة غير بعيدة، نسبياً، لكي يدرك الفرق بين الانجليزية الحديثة وانجليزية القرون السابقة، ولا سيما عندما يصل

الأمر إلى حدّ استغلاق النصّ الانجليزي القديم على القارئ الانجليزي الحديث، كما هي الحال مثلاً في النصوص التي احتواها كتاب An Anglo Saxon Reader. وعند هذه النقطة من الحديث عن التواصل بين قديم العربيّة وحديثها، قد يقول قائل، إن شأن هذا التواصل أن يوحي بجمود اللغة، بل إلى تحنيطها وعدم تطورها، ولكن هذا الظنّ يدحضه تاريخ اللغة العربيّة وواقعها على السواء، لأنّ التواصل بين القديم والحديث في العربيّة، لم يحلّ مطلقاً دون تطوّر هذه اللغة من ناحية، وثباتها من ناحية أخرى. فهي تتطوّر في أساليبها وفي دلالات مفرداتها ومصطلحاتها وفيما تكتسبه من اللغات الأخرى، ولكنها تحافظ على نسقها ونظام تأليف الكلام فيها، مما يحفظ لها بصورة دائمة أن تبقى لغة قياسية، لا تتحوّل إلى لغة كلاسيكية. وعندما اطلعت على تعريف لغوي المدرسة اللغوية التي تعرف باسم مدرسة براغ للغة القياسية، حيل إلي أنهم يضعون تعريفاً للغة العربيّة الفصيحة. فهؤلاء اللغويون قالوا عن اللغة القياسية إنها شكل مقنن من أشكال اللغات، مقبول لدى جماعة كبيرة من الناس الذين ينطقون لغة واحدة، ويستعمل بوصفه نموذجاً للغة عند هذه الجماعة. واللغة القياسية في مفهوم علماء اللغويات الحديثة، ينبغي أن تكون مرنة في ضوابطها وتعقيدها، لكي تسمح بدخول تعديلات عليها استجابة للتغيرات الحضارية والثقافية. ومن خصائص اللغة القياسية كذلك، أنها ذات قواعد منتظمة، وذات دلالات واضحة في المعجم، من أجل أن تكون قادرة على التعبير المحدد الدقيق، ولكي تكون الكتب التي تحوي قواعدها ومعجمها المطبوعة متاحة للجميع، وملزمة للناطقين بها، وهي لغة موحدة في وجه اللغات المفرقة، بوصفها رمزاً للوحدة الوطنية والقومية والطبقية ولهوية الأمة، ومن سماتها أن تكن لها مكانة في المجتمع، لأنها تضيء مكانة خاصة على مستعملها، وهي لغة مرجعية، يرجع إليها في الحكم على الخطأ والصواب.

والناظر في هذه التعريفات للغة القياسية لا يجد فيها عنصراً واحداً لا تتسم به العربية الفصحى، أو فصحي القرآن الكريم. وقد يستذكر الناظر فيها أن العربية الفصحى قد قننت وضبطت في وقت مبكر من تاريخها، لأنّ الخليل بن أحمد الذي ضبط مفردات اللغة في معجم "العين" الذي صنّفه، وتلميذه سيبويه الذي

وضع كتابه الشامل في نحو اللغة، كانا من أبناء القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. وفي وصف اللغة القياسية بأنها لغة موحدة، تقف في وجه اللغات المفرقة، يستذكر الإنسان العربي التصاق هذه السمة بالعربية الفصحى التي تختلف في نَسَقِها الموحد ودلالات مفرداتها عن اللهجات المحليّة المختلفة التي تشيع في أقطار الوطن العربي الممتدة ما بين المحيط والخليج. واللغة التي لا تستبينُ فيها سماتٌ محليةٌ لافتة، هي أحسن اللغات، كما هو متفق عليه لدى علماء اللغة. فقد عزّف اللغوي الدنماركي جيسبرسن Jespersen سنة 1890 أفضل اللغات الدنماركية، بأنها لغة الأشخاص الذي لا يستدل من طريقة نطقهم على الجهة التي أتوا منها. وتقول جوديث لندفورد Judith Linford عن الانجليزية القياسية "إنها لهجة لا تسترعي الانتباه إليها":

It is a dialect that does not call attention to itself. إذا كانت اللغة القوميّة في معظم أقطار العالم يتكلمها أناس يعيشون في إطار كيان سياسي واحد، تحكمه أنظمة وتشريعات واحدة، ويعتمد فيه على عوامل مختلفة تتكئ عليها الدولة لإقامة تجانس بين من ينتسبون إليها، فإن الأمر بالنسبة إلى الناطقين بالعربية يختلف عن ذلك، ويجعل للغة العربية دوراً في الجمع بين الناطقين بها يتعدى الدور المعتاد للغة التي تستعمل في نطاق الدولة الواحدة. فالعالم العربي، كما هو في زمننا هذا، يضم أكثر من عشرين كياناً سياسياً، تقوم على رقعة من الأرض تمتد ما بين الخليج والمحيط، وتبلغ مساحتها 13.7 مليون كم 2، وكان تعداد سكانه بموجب إحصاء سنة 1980، 162.2 مليون نسمة، وسكن هذا العالم الذي لا تنتظمه دولة واحدة، كان من الممكن جداً أن تنقطع بينهم الروابط والوشائج، لولا وجود عوامل موحدة أساسية، من أهمها اللغة الموحدة التي ينطقون بها. وإذا كانت الحدود السياسية القائمة بين دول العالم العربي تفصل كياناً سياسياً عن كيان سياسي آخر، فإن اللغة العربية التي يتكلم بها سكان هذه الدول لا تعترف بحدود فاصلة، وتبقى على إيمان هذه الشعوب بأنها تنتسب جميعاً إلى أمة واحدة. ذلك لأن التجمع القومي، بالمفهوم الحضاري الثقافي، لا العرقيّ لكلمة القوميّة، يقوم حسبما يرى علماء الاجتماع واللغة، على أساس من التراث الحضاري، وعلى تصوّر للمصير المشترك، ومشاعر القرابة

الروحية، وهي أمور قد تظل قائمة مع عدم وجود تنظيم سياسي مشترك، بل قد تبقى قائمة مع عدم وجود أرض مشتركة، لأن المجتمعات الإنسانية لا تتجاوب فقط مع الأشياء الحقيقية والمباشرة القائمة، بل تتجاذب كذلك في إطار الذكريات الاجتماعية. ومن النوافل أن نبين هنا ارتباط اللغة العربية بالتراث الروحي والفكري والذكريات الاجتماعية لأبناء العرب جميعاً حيثما وجدوا. والذي لا ريب فيه، أنه لولا الوشائج الفكرية والروحية واللغوية التي ما تزال قائمة بين الشعوب العربية، لقامت بين هذه الشعوب حواجز تفصل بين أرواحهم وأفكارهم ومشاعرهم، إضافة إلى الحواجز السياسية التي تفصل بين أجسادهم. وما على المرء إلا أن ينظر إلى أثر الروابط المذكورة التي ما تزال قائمة بين أبناء العرب، حتى عندما يعيش بعض منهم على الرغم منهم في ظل دولة أجنبية قاهرة غاصبة كإسرائيل، تتأصب العرب العداء، وتبدل غاية الجهد من أجل فصم الروابط ما بين من ابتلوا بهيمنتها عليهم وبين إخوانهم في مشرق العالم العربي ومغربه. ونحن نعتبر من المسلمات ما صدر عن اجتماع وزراء التربية العرب في صنعاء، في شهر كانون الثاني من عام 1974 من أن اللغة العربية، بما لها من ارتباط بالقرآن الكريم ومن تراث فكري وروحي، هي أقدس شيء على حفظ الشخصية العربية، وملامح العروبة، وسمات الدين، وانطباعات الحياة المشتركة، بكفاحها وذكرياتها ووشائجها، وبكل روابط تاريخها الطويل الأصيل، وهي الامتداد الحي بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ثالثاً: إذا كان حرص شعب من الشعوب على لغته يعدّ طبيعياً تلقائياً في جميع الظروف، فإن هذا الحرص لا بدّ أن يقوي ويشدّد حين يشعر هذا الشعب بخطر يهدّد لغته. والخطر على اللغة العربية أمر قائم نحسّ به ونواجهه كل يوم في مرافق حياتنا اليومية وفي مؤسساتنا المختلفة، الرسمية منها وغير الرسمية. والواقع أن هوية الدول النامية الثقافية في المفهوم الكلي لهذه الهوية، أصبحت مهددة بالضياع لأسباب كثيرة، واللغة هي أبرز معالم هذه الهوية. وبالنسبة إلى اللغة العربية، فإن الخطر يهدّدها من خلال وجود جسم غريب قائم على أرض عربية، ويتحكم بقطاع من قطاعات الأمة العربية، ومن الهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية للدول الكبرى، وهي هيمنة رافقتها ثورة عارمة للمواصلات والاتصالات

الحديثة، حتى كادت البيئة الثقافية تتحوّل إلى بيئة إلكترونية بسبب أجهزة الأعلام القوية الحديثة. وقد لا نغالي إذا قلنا إن تأثير المدرسة أصبح الآن أقل بكثير مما كان عليه، بسبب وجود هذه الأجهزة. وكما يقول تورستن هيوسن التربويّ السويدي البارز في كتابه عن "التربية والتعليم في عام 2000"، إن الشبان الذين يكبرون في مجتمع اليوم، يتعرضون لما يصدر عن شاشة التلفاز، بالقدر نفسه الذي يتعرضون فيه لمواظ معلمهم.

واللغات تتعرض للموت، كما يبين أحد الباحثين في التربية والتعليم في المجتمع العربي، لأسباب ثلاثة، هي الغزو العسكري، والشيخوخة والغزو الثقافي، والغريب أن هذا الخطر من الغزو الثقافي الأجنبي، لم يعد أمراً تخافه وتتوجس منه البلاد النامية فقط، إذ إنه امتد كذلك إلى بلاد صناعية متقدمة، في ثقافتها الكثير من الركائز والعوامل المشتركة مع الثقافة الخارجية التي تخشى خطرها، بل هي تعد أقرب الدول، حتى من الناحية الجغرافية، مع الدولة التي تخشى من هيمنتها الثقافية: تلك هي كندا، التي باتت تشعر بأنها فقدت كيائها الثقافي بسبب الهيمنة الثقافية الأميركية، المعتمدة على قوة وسائل الاتصال الحديثة وتأثيرها. وقد بلغ التخوف في كندا من هذه الهيمنة إلى حد قول وزير خارجية كندي: "لئن كان الاحتكار أمراً سيئاً في السلع الاستهلاكية، فإنه أسوأ بكثير في صناعة الثقافة، حيث لم يعد الأمر قاصراً على تثبيت الأسعار، بل على تثبيت الأفكار أيضاً". ولنا أن نتأمل في قول هذا المسؤول الكندي، وهو وزير في دولة صناعية يتكلم سكانها في معظمهم اللغة الانجليزية التي يتكلمها الأميركيون، ويعرف سكانها الناطقون بالفرنسية هذه اللغة، وتقوم حضارتها على الأسس نفسها التي تقوم عليها الحضارة الأميركية.

وإذا كان من حقنا نحن العرب الذين نعيش في دول نامية أن نخشى على لغتنا خوفاً من العناصر الخارجية المهددة، في عصر العلم والتقنية، بكل ما يرتبط بهذه العصر من اقتحام لغوي وفكري، فإنه ينبغي علينا أن نستذكر كذلك المخاطر التي تهدد العربية من الداخل، وعلى أيدي نفر من أبنائها، يتخذون منها موقف العداء السافر أو الخفي. وهنا قد يكون من الملائم إيراد عبارة الأمين العام للأمم المتحدة الموردة في وثيقة

اليونسكو رقم 197، وهي مقتطفة من فقرة قدمت في المخطط العام الطويل الأمد للأعوام 1971-1976، وقد صدرت في باريس عام 1970، تلك هي:

"تبقى اللغة الأم هي الوسيلة الحاسمة التي يستطيع الفرد بها الانتماء إلى مجتمعه وحضارته، فهي قاعدة مداركة العقلية".

إن اللغة العربية مكانة خاصة في نفوس الناطقين بها من حيث تعبيرها عن الحسّ الجمالي والناحية الوجدانية فيهم، وليس القصد هنا أن ننفي العلاقة الوجدانية الثابتة بين اللغات القومية الأخرى ونفوس الناطقين بها، لأن مثل هذه العلاقة من المسلّمات التي لا تحتاج إلى إقامة الدليل عليها. ويكفي على سبيل المثال أن نتأمل في عبارتين عن هذه العلاقة، صدرت أولاهما عن امرأة فرنسية، وصدرت الأخرى عن رجل ألماني. تقول مدام ستايل الفرنسية: "إن اللغة الفرنسية، ليست كما هي عند غيرنا مجرد وسيلة لتوصيل أفكار الناطقين بها واحساساتهم وشؤونهم، ولكنها آلة يحب الإنسان أن يلعب بها، وهي تحرك النفوس، كالموسيقى عند أقوام، والخمور القوية عند الآخرين". ويقول هيرد الألماني: "هل للقومية شيء أعز من لغة الآباء؟ إن في تلك اللغة تكمن الأمة وتقاليدها وتاريخها ودينها وأسس حياتها وقلوب أبنائها وأرواحهم".

وإذ ندرك هذه العلاقة العاطفية بين أبناء جميع الشعوب واللغات القومية التي ينطقون. فإننا نرى أن هذه الرابطة العاطفية بين العربية والإنسان العربي، اكتسبت خصوصية متميزة لسببين كبيرين تفرقت بهما هذه اللغة، أما الأول منهما، فلأن هذه اللغة، بما كتبت فيها من مادة وجدانية تعبّر عن مشاعر الإنسان العربي وحسّ الجمال فيه، قد كادت تكون الأداة الفنية الوحيدة للتعبير عن النواحي العاطفية عند الإنسان، عندما كان يتغنّى بها في الجزيرة العربية، قبل أن تجلب الحضارة اللاحقة زمنياً أدوات أخرى للفن، والتعبير عن الحسّ الجمالي كالتصوير والموسيقى وفن المعمار وغيرها من ألوان الفنون. وبالمقارنة، كان لشعوب أخرى قديمة، كأهل مصر القديمة وأبناء الإغريق والرومان، مسار فنية أخرى للتعبير عن العواطف والحسّ الجمالي، وإن لم تحل هذه المسارب بالطبع دون أن يكون للغة دور في هذا اللون من التعبير. وليس من قبيل المصادفة أن ينفرد الشعر العربي القديم بمقدمات عاطفية وبألوان من البث الذاتي الوجداني في مقدمات القصائد، بغض النظر عن الموضوع الأساسي للقصيدة. وحتى بعد

أن انطلق العرب إلى خارج الجزيرة بعد الفتوح الإسلامية، لم تتخل اللغة عن دور الصدارة في التعبير عن النواحي العاطفية عندهم، ولو أنهم أصبحوا ذوي معرفة وصلة بألوان أخرى من الفنون غير فن الكلمة. وقد أورد رسول الإسلام صلوات الله عليه في عبارة مكتنفة موجزة أثر الكلمة البليغة على الإنسان العربي، وذلك في قوله: "إن من البيان لسحراً".

أما السبب الثاني في العلاقة العاطفية الخاصة بين الإنسان العربي ولغته، فهو ارتباطها الفريد بعقيدته، منذ أن تنزل بهذه اللغة القرآن الكريم. والعقيدة الدينية، أيا كانت، لا بد أن تمسّ في الإنسان الذي يدين بها عقله وقلبه معاً. وحين يتحول الدين إلى مجرد معادلات عقلية رياضية، فإنه يفقد أثره في نفوس المؤمنين. بل إنني أذهب إلى القول إن أقوى ما يهزّ الإنسان عاطفياً في المضمار اللغوي، أن يشعر أن لغته قد ارتبطت بصورة خاصة بإيمانه وخلقه ومصيره وعلاقاته بما خلق الله من كائنات حية وغير حية. وكل هذا يصدق على علاقة اللغة العربية بالمادة القرآنية وبأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ويكفي أن يرجع الإنسان إلى ما في القرآن الكريم والأحاديث النبوية من عبارات تهز النفوس وتستثير أقوى العواطف، لكي يتبين هذه الصلة الوجدانية الفريدة بين العربي ولغته.

### واقع اللغة العربية في الأردن في التعليم العام والتعليم العالي

#### أ - التعليم العام

##### 1- الخطة الدراسية:

لدى النظر في إحصائيات وزارة التربية والتعليم الأردنية لسنة 1988/1987 استبان أن المعلومات التالية، بالنسبة إلى عدد حصص اللغة العربية وحصص اللغة الأجنبية:

مجموع الحصص في الأسبوع	حصص اللغة الانجليزية	حصص اللغة العربية	الصف
31	5	5	الأول الثانوي الأكاديمي
31	5	6	الثاني الثانوي الأدبي
33	5	5	الثاني الثانوي العلمي
30 ذكور 31 إناث	6	6	الثالث الثانوي الأدبي
33 ذكور 34 إناث	5	5	الثالث الثانوي العلمي
34	6	5	الأول الثانوي التجاري
37	6	5	الثاني الثانوي التجاري
36	6	6	الثالث الثانوي التجاري
37	2	1	الأول الثانوي الزراعي
39	2	1	الثاني الثانوي الزراعي
41	2	2	الثالث الثانوي الزراعي
39	2	1	الأول الثانوي الصناعي
40	2	1	الثاني الثانوي الصناعي
42-40	2 (اختياري)	2	الثالث الثانوي الصناعي
42	5	2	الأول الثانوي - تمريض
42	5	2	الثاني الثانوي - تمريض
44-40	5	2	الثالث الثانوي - تمريض
41	2 انجليزي + 2 فرنسي	2	الأول الثانوي - فندقي
42	1 انجليزي + 1 فرنسي	1	الثاني الثانوي - فندقي
46 عملي ونظري	2 انجليزي	2	الثالث الثانوي - فندقي

ويتبين من القائمة السابقة أن حصص اللغة العربية قد تساوت مع حصص اللغة الانجليزية عدداً في كل من الصف الأول الثانوي الأكاديمي والثاني الثانوي العلمي والثالث الثانوي الأدبي والثالث الثانوي العلمي، في حين أن هذه الحصص نقصت عن حصص اللغة الانجليزية عدداً في صفوف الأول والثاني الثانوي التجاريين، والأول والثاني الثانوي الزراعيين، والأول والثاني الثانوي الصناعيين، واختلفت النسبة بصورة جذرية بين حصص اللغتين لصالح اللغة الانجليزية في صفوف الأول والثاني والثالث الثانوية الخاصة بالتمريض، كما اختلفت كثيراً لصالح اللغة الأجنبية في الصفين الأول والثاني الثانويين، الفرع الفندقي.

وفي إحصاء غير حديث جداً أجري تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، واستخلصت منه المعلومات من خلال استفتاء خاص باللغة العربية في مراحل التعلم العام، استباننت النسب التالية لحصص اللغة العربية مقارنة بالمجموع الكلي لخطة الدراسة في مراحل التعليم الثلاث. وقد اقتصررت في إيراد هذه النسب على ست دول عربية، هي الأردن والسعودية، وسوريا والعراق والكويت ومصر:

الصفوف الابتدائية

الدولة	ب 1	ب 2	ب 3	ب 4	ب 5	ب 6
الأردن	%42.8	%33.3	%32	%32	%22.9	%22.9
السعودية	%28	%28.1	%31.4	%28.6	%28.7	%28.7
سوريا	%36.7	%36.7	%33.3	%33.3	%25	%25
العراق	%20	%20	%20	%20	%17	%17
الكويت	%38	%38	%38	%35.3		
مصر	%38.5	%38.5	%35.7	%32.2	%28	%28.1

صفوف المرحلة الإعدادية

الدولة	1	2	3
الأردن	%20	%20	%18.9
السعودية	%17	%17	%17
سوريا	%20	%20	%20
العراق	%16.6	%16.6	%16.6
الكويت	%21.6	%21.6	%21.6
مصر	%21.6	%21.6	%21.6

وتستبين الحقائق التالية من القوائم الموردة آنفاً، مع التذكير مرّة أخرى، بأن هذه الأرقام لا تمثل أحدث الإحصائيات:

احتلت الأردن المرتبة الأولى بين الدول الست في نسبة حصص اللغة العربية إلى المجموع الكلي لخطة الدراسة في الصف الأول الابتدائي، والمرتبة الرابعة في حصص الثاني الابتدائي، والمرتبة الرابعة في حصص الثالث الابتدائي والرابع الابتدائي والخامس الابتدائي والسادس الابتدائي.

أما في المرحلة الإعدادية، فقد جاء الأردن ثانياً في الصنفين الأول والثاني الإعداديين بين الدول العربية الست، وثالثاً في الصف الثالث الإعدادي.

وفي المرحلة الثانوية كان ترتيب الأردن الأخير في الصف الأول الثانوي، والخامس في كل من الصف الثاني الثانوي العلمي والثاني الثانوي الأدبي، وكذلك الخامس في كل من الصف الثالث الثانوي العلمي والثالث الثانوي الأدبي.

2- المناهج الكتب المدرسية:

إن قراءة الخطوط العريضة لمناهج اللغة العربية في الأردن تبعث بصورة عامة على الارتياح، لأنها مبنية على أسس فلسفية واجتماعية ومعرفية مدروسة وجيدة. وقد بينت إحصائية وردت في التقرير الذي انبثق عن المؤتمر الوطني للتطوير التربوي الذي عقد في عمان من 6-7 أيلول 1987 أن نسبة الرضا عن المناهج في الميدان الأردني بلغت 86%.

وتعلّم اللغة العربية في إطار الوحدات الدراسية المتكاملة في جميع صفوف المرحلة الإلزامية، ويخصص كتاب واحد شامل لكل صف، تعد مادته على طريقة الوحدة في المرحلة الإلزامية، وقد خصص دليل للمعلم لكل كتاب من كتب المرحلة الابتدائية، في حين خصص دليل واحد لكتب المرحلة الإعدادية، وقد جرت دراسات وقدمت رسائل جامعية في كل من الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك حول تدريس اللغة العربية في الأردن، وكانت نسبة الرضا في الميدان الأردني عن كتب اللغة العربية 76%، في حين كانت نسبة الرضا في هذا الميدان عن الأدلة المدرسية 77%، وعن المكتبات المدرسية 82%.

### 3- اللغة الأجنبية في مراحل الدراسة الأولى:

تدرس اللغة الأجنبية، الإنجليزية أو الفرنسية، أو كلتا اللغتين في معظم المدارس الخاصة في الأردن في مرحلة مبكرة جداً، قد تسبق في بعض هذه المدارس المرحلة الابتدائية، وتمتد إلى المرحلة الابتدائية منذ أول صفّ فيها، بينما يبدأ تدريس اللغة الإنجليزية في مدارس الأردن الحكوميّة من الصف الخامس الابتدائي. وقد كانت قضية تدريس اللغات الأجنبية في المرحلة الابتدائية موضع دراسة قامت بها لجنة تحضيرية شكلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1974، وحين رَصَدَت اللجنة إجابات خمس عشرة عربية عن استبانات ورَّعتها بهذا الخصوص، وقفت على الآراء التالية:

قالت خمس دول إن تدريس لغة أجنبية في المرحلة الابتدائية يؤثر تأثيراً سلبياً على تعليم اللغة العربية، وقالت دولتان إن الأثر السلبي هو على بداية المرحلة الأولى ولا خطر له في نهايتها، بينما قالت خمس دول إنه لا خطر لهذا التعليم على اللغة العربية، ورأت دولتان اثنتان أنه من عوامل إغناء اللغة العربية، ولم يكن لدولة واحدة رأي في الموضوع. وقد رأت لجنة الخبراء التحضيرية أنه لا بدّ من دراسة أكاديمية تربوية من أجل تحديد الصف الذي ينبغي أن يبدأ فيه تدريس اللغة الأجنبية. والمعلوم أن دول أوروبا بصورة عامة لا تدرس اللغات الأجنبية لأبنائها إلا بعد انتهاء المرحلة الابتدائية.

#### الأميّة:

لدى اتصال كاتب هذه السطور برئيسة قسم تعليم الكبار في وزارة التربية والتعليم الأردنية، أفادت أن نتائج الإحصاء السكاني في آخر عام جرى فيه إحصاء في الأردن، وعلى وجه التحديد في 1979/11/10، بينت أن عدد الأميين من كلا الجنسين في الأردن (في الضفة الشرقية)، بلغ ( 357400 ) شخص، وهذا الرقم كان يكون نسبة 34.6% من مجموع السكان الذين تزيد أعمارهم على 15 سنة. إلا أن الموظفة ذكرت أن هذه النسبة تتناقص بمقدار 1% في السنة وأن نسبة الأمية قدرت بـ 28% عام 1985.

#### شغرات:

ومن خلال الدراسات التي جرت عام 1974، تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن أوضاع اللغة العربية في الأقطار العربية المختلفة، ومنها الأردن،

تبين أن ثمة ثغرات ينبغي التنبيه إليها في الأوضاع القائمة، ويمكن أن تجمل هذه الثغرات في النقاط التالية:

إن الخطة الدراسية المتبعة في تعليم اللغة العربية لا تدفع التلاميذ إلى مداومة الاطلاع الحرّ في الصحف والمجلاّت والمكتبات، كما أن كتب القراءة المستخدمة في معظم صفوف المرحلة التعليمية لم تُحدَّث، وهي بوضعها القائم لا تساير الزمن في التعبير عن حياة الأمة العربية المتطورة، ولا تخرج القارئ الذي تتطلبه ظروف العصر. وتردح الموادّ في مناهج القواعد النحوية وكتبها، وبعض هذه القواعد لا تتصل اتصالاً مباشراً بالناحية الوظيفية للغة ولا تخلو من عسر واضطراب. وتسير حصص التعبير في طريق تقليدي من حيث اختيار الموضوعات ومعالجتها. ومن هذه الثغرات كذلك، الانتقال الفجائي في التعليم من عامية الطفل إلى اللغة الفصحى، واضطراب المستوى اللغوي بين كتب المواد الدراسية المختلفة، بل بين كتب المادة الواحدة في الصف الواحد، وطغيان الماضي على الحاضر في تدريس الأدب والنصوص، واتباع طرق في تدريس هاتين المادتين لا تصل التلميذ بنتائج حاضره وتراث ماضيه وصلماً يظهر أثره في حياته، وقلة ربط التعليم اللغوي بالثقافة العامة.

ويدخل في هذه الثغرات أيضاً قلة الدراسات العلمية التي تتخذ أساساً لبناء المناهج وإعداد الكتب المقررة، والافتقار إلى أدوات القياس الموضوعية في تقييم التعليم اللغوي، وحاجة طرق تعليم القراءة للمبتدئين إلى دراسات علمية، وقلة استعمال التقنيات الحديثة في تعليم اللغة والإفادة من الدراسات الحديثة في اللغويات والصوتيات، وعدم استعمال معاجم لغوية لكل مرحلة من مراحل التعليم العام، وفقدان الصلة أو ضعفها بين مجامع اللغة العربية ووزارات التربية والتعليم في البلاد العربية، وضعف العناية بتطبيق الطرق التربوية الحديثة في تعليم اللغة، وقلة المناشط المدرسية المتعلقة باللغة، وعدم إيلاء المناشط القائمة اهتماماً كافياً في المدارس.

وتبين هذه الدراسات نقصاً في عدد المعلمين المتخصصين، وانخفاضاً في مستواهم، مع تفاوت في ذلك ما بين البلاد العربية المختلفة، وعدم عناية مدرسي اللغة العربية وغيرهم من مدرسي اللغات الأخرى باستخدام اللغة العربية السليمة في تعليمهم وتعاملهم مع الطلبة، وتعدد الجهات التي تقوم بإعداد معلمي اللغة العربية، واختلاف مستويات هذه الأعداد بين جهة وأخرى.

وإذا كنا جميعاً نؤمن بالأثر القوي لأجهزة الإعلام الحديثة في عملية التنقيف، وبصورة خاصة في إشاعة اللغة السليمة، فينبغي أن نسجل هنا أن للترفيه في المادة الإذاعية والتلفازية في الأردن حجماً أكبر مما ينبغي أن يكون له، وأن الألعاب الالكترونية ذات العلاقة بالحاسوب (الكمبيوتر) أصبحت تستهلك جزءاً لا يستهان به من أوقات الطلبة، كما أن ثمة تسامحاً كبيراً في نوع اللغة التي تستعمل في الإذاعة والتلفزة، وتساهلاً في المستوى اللغوي فيما نشر في الصحافة. ومن الأمور التي يجب الاعتراف بها أننا في الأردن، نفتقر إلى الإعلاميين الذين يجمعون في أشخاصهم معرفة عميقة باللغة، وخبرة متميزة في حقل الإعلام، وهو ما يتوافر لدى الدول المتقدمة، بكل ما ينشأ عن ذلك من آثار ونتائج. وإذا كان سكان المدن يتعرضون عادة لتأثير أجهزة الإعلام الحديثة يزيد على تأثر أهل الريف والبادية، فإن مما له دلالاته، أن نبين هنا أن قطاع المدن في الأردن يمثل نسبة عالية من سكانه، إذ بلغ هذا القطاع 42% من السكان، في حين بلغ قطاع الريف والبادية 58%.

#### ب- التعليم العالي:

يتلقى الطلبة الأردنيون الذين يواصلون دراستهم داخل الأردن بعد إتمام المرحلة الثانوية تعليمهم العالي إما في الجامعات الأردنية الأربع، أو في كليات المجتمع المتوسطة. وقد بلغ عدد كليات المجتمع في الضفة الشرقية 79 كلية، منها 34 تتبع القطاع الخاص، و 5 تتبع وكالة الغوث الدولية، وكلية واحدة تتبع اليرموك، والكليات الباقية مؤسسات حكومية، منها 17 كلية تتبع وزارة التربية والتعليم العالي. وقد بلغ عدد الطلبة المتخصصين باللغة العربية في هذه الكليات حسب إحصائيات عام 85/84، 1560 طالباً، من بين (27205) طلاب يدرسون المهن التربوية. أما في الضفة الغربية، فإنه توجد 5 جامعات و 14 كلية جامعية، مما يوصل عدد مؤسسات التعليم العالي فيها إلى 19 مؤسسة، وذلك حسب إحصائيات شهر كانون الأول من عام 1986.

والتخصص في اللغة العربية في الأقسام الخاصة بها في الجامعات الأردنية، يتيح للطالب أن يختار ما بين تخصص منفرد، وتخصص رئيسي، وفي التخصص الثاني يختار الطالب مادة أخرى يتخصص فيها تخصصاً فرعياً، دون أن يُحصر هذا الاختيار في كلية الآداب التي يكون قسم اللغة العربية واحداً من أقسامها. وعلى الطالب في جميع

الأحوال أن يُدخل في دراسته أعداداً محدّدة من المواد، إجبارية ومتخيرة، من المواد التي تسمى متطلبات الجامعة ومتطلبات الكلية ومتطلبات القسم، إضافة إلى مواد حرّة، لكي يبلغ مجموع ما يدرسه من المواد الإجبارية والاختيارية حدّاً أدنى من الساعات المعتمدة، لا بدّ من إكمالها قبل التخرّج. ولا بدّ لطالب الجامعة في جميع الأحوال، وأياً كانت الكلية التي يدرس فيها، من النجاح في مادة في اللغة العربية، هي مادة المستوى. وتحرص بعض الكليات الجامعية بسبب طبيعة المواد الدراسية فيها، على أن تدرس مقررات معينة في اللغة العربية، كما هي الحال مثلاً في كليتي الشريعة والحقوق. وللطالب الجامعي في أي كلية من كليات الجامعة، أن يتخير بعض فروع من مادة اللغة العربية في إطار الاختيارات المتاحة له. وتجري دراسة المقررات المرتبطة باللغة العربية، شأنها في ذلك شأن مقررات المواد الدراسية في الجامعة على أساس الفصول، بمعنى أن المقرر الواحد، يخصص له فصل دراسي واحد، وهذه هي القاعدة العامة، والخروج عنها يمثل الاستثناء. وتتاح الفرصة كل عام لعدد محدود من الطلبة المتميزين لأن يتابعوا دراساتهم العليا في اللغة العربية وآدابها، في نطاق برنامج الماجستير، أو برنامج الدكتوراه الذي يوجد حالياً في الجامعة الأردنية دون غيرها. وتنتهي دراسة الطالب في هذين البرنامجين بتقديم رسالة جامعية في موضوع يكون الطالب قد اختاره بالاتفاق مع الأستاذ المشرف عليه، وبموافقة الجهات المعنية في الجامعة، وتناقش الرسالة في جلسة علنية، ويقوم بالمناقشة لجنة تضم الأستاذ المشرف واثنين من زملائه في مستوى الماجستير، وثلاثة في مستوى الدكتوراه، قد يكون من بينهم أستاذ مدعو من جامعة غير أردنية. والجدير بالذكر أن الدراسة في الكليات العلمية والمهنية في الجامعات الأردنية تجرى باللغة الانجليزية، في حين أنها في الكليات الإنسانية يراوح فيها بين العربية والانجليزية، دون الالتزام الدائم بالعربية الفصيحة السليمة، حينما يكون التدريس باللغة العربية.

هذا في الجامعات، أما في كليات المجتمع في الضفة الشرقية، فإن إجمالي التخصص في اللغة العربية يبلغ 32 ساعة معتمدة، أي ما يساوي 50% من مجمل الحصص الأسبوعية. وعلى أي طالب في كلية المجتمع أن يخصص 4 ساعات من أصل 16 ساعة من متطلبات الكلية لدراسة اللغة العربية، أي أن مادة اللغة العربية في هذه الكليات يخصص لها 25% من متطلبات الكلية.

وللغة الانجليزية عند المتخصصين بها من طلبة كليات المجتمع مثل ما للغة العربية من النسب المذكورة، إلا أن بعض كليات المجتمع المتخصصة، وهي قليلة،

تدرس مادتها باللغة الانجليزية، كما هي الحال مثلا بالنسبة إلى تخصص الاتصالات الجوية.

وتبين المعلومات التي استقصيت مباشرة من العاملين في وزارة التعليم العالي الأردنية، أن اللغة العربية مثبتة في معظم التخصصات الأخرى، كالصحافة والإعلام، وأن مادة اللغة العربية للمتخصصين بها تشمل أنماط الدراسات العربية المختلفة، من أدب ونقد وبلاغة وعروض ولغة ومكتبة ومعاجم وأدب أطفال وأساليب تدريس اللغة العربية، وأن معظم المدرسين في كليات المجتمع هم من حملة درجة الماجستير، باستثناء قلة يحملون درجة البكالوريوس.

### أساليب النهوض باللغة العربية في الأردن

لا يكاد الناظر في أساليب النهوض باللغة العربية في الأردن يفكر في واحد منها، إلا ويجد أنه قد سبق إليه، لكثرة ما قيل في هذا الموضوع على النطاق المحلي والنطاق العربي، وفي إطار ما يتصل بالنهوض باللغات القومية في دول العالم الفسيح. وما سأورده تحت هذا العنوان الفرعي، لا يعدو أن يكون حصيلة نظرات وتجارب شخصية، ومعلومات استقصيت من مصادر محلية، وأفكار وقفت عليها من مصادر عربية أو عالمية. وسأحاول في السطور اللاحقة أن أضع تصوراتي حول هذا الموضوع بعد تصنيفها وترتيبها:

#### أولاً: الخطط الدراسية:

##### أ- التعليم العام:

تبين من الجداول التي أوردت آنفاً أن ثمة حاجة إلى زيادة حصص اللغة العربية في كل من الصفوف الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس الابتدائية، وكذلك في كل من الصف الأول الثانوي، والثاني والثالث الثانويين بفرعيهما العلمي والأدبي، لكيلا نأتي في مرتبة متأخرة بالقياس إلى دول عربية أخرى.

وتبين كذلك أنه لا بد من زيادة حصص اللغة العربية في الصف الأول الثانوي

الأكاديمي لكي تزيد على حصص اللغة الانجليزية فيه، وفي صفوف الأول والثاني الثانوي التجاريين، والأول والثاني الثانوي الزراعيين، والأول والثاني الثانوي الصناعيتين، لأن حصص العربية في هذه الصفوف نقصت عن حصص اللغة الانجليزية، في الأول

والثاني والثالث الثانوي فرع التمريض، والأول والثاني الثانوي، الفرع الفندقية، لأن النسبة بين حصص اللغة العربية واللغة الأجنبية اختلّت بصورة جذرية لصالح اللغة الأجنبية. وفي المدارس التي تدرس الانجليزية أو الفرنسية أو كلتا اللغتين فيها في مرحلة مبكرة جداً من حياة التلميذ، ومعظم هذه المدارس خاصة، ينبغي إعادة النظر في ممارساتها، لما في هذا التبكير من أثر على لغة الصغار وانتماءاتهم الفكرية والوجدانية. وإذا كان من الصعب أن تجزم بسن معينة يتعلم فيها التلاميذ لغة أجنبية، فإن الاتجاه القائم حالياً في الدول الأوروبية، والمتمثل في تدريس اللغات الأجنبية بدءاً من المرحلة اللاحقة للمرحلة الابتدائية، يبدو شيئاً معقولاً وقائماً على دراسات وقناعات موضوعية. وقد يحتاج الأمر إلى إجراء دراسة من أجل الانتهاء إلى رأي تربوي واضح في أثر تعليم اللغات الأجنبية في اللغة العربية في المرحلة الابتدائية.

#### ب- التعليم العالي:

أثبتت تجارب السنوات التي طبق فيها نظام الساعات المعتمدة في الجامعات الأردنية، أن التخصص في اللغة العربية ينبغي أن يكون تخصصاً منفرداً، إذا أريد للطالب الجامعي أن يدرس قدرًا كافيًا من مادة اللغة العربية، ولذا فإن من المصلحة أن يحصر التخصص في اللغة العربية وآدابها في التخصص المنفرد دون التخصص الرئيسي، وأن تكون المواد التي تدرس في إطار هذا التخصص المنفرد ذات صلة وثيقة باللغة العربية وآدابها، ويستحسن أن يزداد عدد المواد الإلزامية والاختيارية التي يدرسها الطالب المتخصص في اللغة العربية. ومن المفيد، بل من الواجب، أن تدخل دراسة اللغات السامية في المواد التي يدرسها الطالب الجامعي المتخصص في اللغة العربية. وقد تبين كذلك، أن مادة مستوى اللغة العربية التي تدرس في مركز اللغات، ويعتبر النجاح فيها شرطاً لتخرج الطالب، مهما كانت الكلية التي يدرس فيها، لا يمكن أن تقدّم للطالب ما يحتاج إليه من قدرة على استخدام اللغة استخداماً وظيفياً سليماً في حياته الجامعية والعلمية على حدّ سواء. ولذا فإنه يقترح أن تدرّس مادة اللغة العربية لهذا الطالب بصورة إجبارية عبر سنوات دراسته الجامعية، أو عبر عدد من هذه السنوات، على أن تتواءم مادة الدراسة مع طبيعة المواد الدراسية التي يتلقاها الطالب في كليته، وعلى أن يدرّب الطالب الجامعي في جميع الأحوال على كتابة المقالة الفنية أو التقرير الفني حسب الأصول الأكاديمية المتعارف عليها في هذا العصر الذي يحمل السمة

العلمية في مجالي التفكير والتعبير، وعلى أن يكون من بين الأهداف الأساسية لتعليم اللغة العربية في الجامعة إقدار الطالب على استعمال اللغة بشكل صحيح دقيق قادر على التأثير في القارئ واجتذابه.

ويقتضي نظام الساعات المعتمدة في معظم الحالات أن يدرس المقرر العلمي الواحد لمدة فصل دراسي واحد. ومع تسليمنا بأن التدريس الجامعي على وجه الخصوص لا يمكن أن يكون عملية تلقينية تصدر عن المدرس دون مشاركة الطالب في استخراج المعلومات والبحث عنها، فإننا ندرك كذلك من خلال التجربة أن طبيعة المقرر قد تقتضي أن يُدرّس عبر سنة دراسية كاملة، إذا أُريد له أن يُستوعب وأن يبلغ فيه الطالب حدًا مقبولًا، إذ إن ما يطلب من الطالب إعدادهِ والتتقيب عنه في بعض المقررات، لا يمكن أن يتسع له فصل دراسي واحد، وهذا أمر قائم بالفعل بالنسبة إلى مواد خاصة في مادة اللغة العربية وآدابها.

هذا، وأحسب أن من الملائم والمفيد في هذه المرحلة من مراحل التعليم الجامعي في الأردن، أن يقرب بين الخطط الدراسية للغة العربية في الجامعات العربية، سواء كان ذلك في توزيع فروعها وتسمية هذه الفروع أم في توحيد متطلبات التخصص في أقسام اللغة العربية وعدد الساعات المعتمدة اللازمة للتخرج، وما إلى ذلك من أمور تفصيلية أخرى. وإذ يشكك أحياناً من عدم تمكن بعض أعضاء الهيئة التدريسية من اللغة العربية، بكل ما يبنى على ذلك من تأثير سلبي على المادة التي يدرسونها، فإن من الأمور العلاجية العلمية، أن توضع خطة خاصة لدورات في اللغة العربية تصمم خصيصاً لمعالجة أيما ثغرة يمكن أن توجد لدى بعض المدرسين في استعمال اللغة العربية مشافهة وكتابة على الوجه الصحيح. ومن الممكن أن توضع مثل هذه البرامج بالتعاون ومشاركة بين قسم اللغة العربية وكلية التربية في الجامعة. ومن المقومات التي لا غنى عنها في النهوض باللغة العربية في الجامعات الأردنية، أن تصبح هذه اللغة هي لغة التعليم في جميع كليّاتها، ذلك من أجل إعادة الصلة الطبيعية بين العربية والموضوعات العلمية، وأن تكون اللغة العربية التي تستعمل في التدريس اللغة الفصيحة، لا العامية.

#### ثانياً: المناهج والكتب المقررة:

ينبغي ألا تثبت مناهج اللغة العربية على نمط واحد لمدة طويلة من الزمن في مراحل التعليم العام، ولا سيما أن العربية هي لغة التدريس في هذا التعليم في مختلف

المواد والمجالات. وإذا كانت أقسام ولجان خاصة في المؤسسات التعليمية المختلفة هي التي تضطلع الآن بشؤون المناهج وتطويرها، فإن من المفيد أن يشرك في وضع المناهج وتطويرها قطاعات مختلفة يدخل فيها المعلمون وذوو الرأي والخبرة في المجتمع المحلي والجامعات الأردنية، والمختصون في الموضوعات المختلفة من المؤسسات القائمة في الأردن، سواء أكانت رسمية أم غير رسمية.

وفي الإطار العام لمناهج اللغة العربية، في التعليم العام، أرى الالتزام بتوصية صدرت عن خبراء في العربية اجتمعوا في عمّان في شهر تشرين الثاني عام 1974، ومؤدى هذه التوصية أن تُصدّر أهدافُ مناهج اللغة العربية بالهدفين العربي والإسلامي، وأن يشتمل محتوى هذه المناهج على قدر مشترك من الموضوعات والنصوص التي تعرّف التلاميذ بوطنهم العربي والإسلامي ومكانته في الماضي، ومشكلاته وقضاياها في الحاضر، وتطلعاته إلى مستقبل أفضل، وتعميق شعورهم بقيمهم الفكرية والحضارية والإنسانية، وترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوسهم.

وإذ نواجه تهديداً كبيراً للوطن العربي متمثلاً في الكيان الصهيوني ومن يدعمونه، ولما كان هذا الخطر على أرض الإنسان العربي وتراثه الحضاري خطراً متفاقماً، فقد يكون من الواجب أن يخصص مقرر في مناهج اللغة العربية، في المدرسة والجامعة، من أجل تدريس الأدب المرتبط بحب الأرض والوطن، على أن تكون المادة الأدبية التي يجري تدريسها ذات امتداد تاريخي؛ لكي تشمل الماضي والحاضر معاً، مع التركيز على ذلك النوع من الأدب الذي انبثق عن إحساس بالخطر الخارجي على الوطن العربي، لا سيما الخطر القائم حالياً، والمتمثل في الكيان الصهيوني.

ولما كانت المناهج في مرحلة التعليم العام تترجم إلى كتب دراسية مقررة، فإن هذه الكتب، والأدلة التي وضعت من أجل الإرشاد إلى طرق تدريسها، ينبغي أن تكون ذات مواصفات معينة. وكثير من هذا المواصفات مما تنبّه إليه العاملون في ميدان التعليم واللجان والمؤتمرات المحلية والعربية التي بحثت قضايا اللغة العربية وأدوات تدريسها. فعلى النطاق المحلي، ارتأى من بحثوا موضوع كتب اللغة العربية وأدلتها أن توثق النصوص التي تورّد في الكتب المخصصة للمراحل الإعدادية والثانوية، وأن يعرف بصاحب النص في إطار ترجمة قصيرة له، وأن ينتهي الكتاب بثبت عام بمصادره ومراجعته، وأن يحتوي دليل المعلم الذي يوضع لكل كتاب على الخطة الدراسية للمادة،

وعلى توزيع وحدات الكتاب المدرسي على أسابيع السنة الدراسية، وعلى حصص معدّة إعداداً نموذجياً، مع شرح للخطوات التي تتبع في تدريس كل فرع من فروع اللغة. وعلى النطاق المحلي كذلك، وفي إطار ما اتفق عليه في المؤتمر الوطني للتطوير التربوي الذي عقد في عمان يومي 6 و 7 أيلول 1987، أوصى المؤتمر بالإكثار من التدريبات في الكتب المدرسية، والحرص على تنوعها، وإيراد عدد كاف فيها من النماذج المحلولة، وإزالة ما فيها من التعميمات التي تفتقر إلى التحديد والدقة، كما أوصوا بالاستفادة من الصور والرسوم والخرائط التوضيحية، وإيلاء أهمية خاصة للمجتمع المحلي والمجتمع العربي، وتلبية النواحي الوجدانية والروحية في شخصية الطالب، وعدم الاقتصاد على النواحي المعرفية. ورأى المؤتمر أن الكتاب المدرسي يجب أن يجرب لفترة من الزمن قبل اعتماده وإقراره، وأن يرفد الكتاب المقرر للقراءة كتاب في المطالعة الإضافية بدءاً بالصف الرابع الابتدائي، وأن تراجع مقدمات الكتب المدرسية من أجل أن تكتب بلغة سليمة دقيقة، توضح فيما توضح أهداف الكتاب المقرر، وأن تورد النصوص في الكتاب دونما تصرف إلا إذا اقتضت الحاجة إحداث هذا التصرف، وفي هذه الحالة لا بدّ من التنبيه عليه.

ولما كانت الكتب المقررة، تحتوي قدراً يكثر أو يقلّ من المفردات الجديدة، وبعض هذه المفردات قد تكون ذات دلالة اصطلاحية، فإن من الواجب حصر هذه المفردات وفهرستها في الكتاب، من أجل أن توضع في قوائم لإيضاح الدلالة المقصودة، لكل منها. وإذ يعيش الطالب العربي الأردني حكماً في إطار دوائر متداخلة، تبدأ بالبيئة المحلية وتنتهي بالبيئة الإنسانية، مروراً بالدائرة العربية والدائرة الإسلامية، فإن مواد الكتب المدرسية، ينبغي أن يراعى في مضامينها هذا الامتداد المنطقي التدريجي الذي ينسب الطالب بصورة تدرجية إلى هذه الدوائر جميعاً.

وقديماً أخذ على الطالب العربي منذ المرحلة الابتدائية قلة حصيلته من المفردات اللغوية إذا قيس بالطالب الأوروبي، وكون هذه الحصيلة الصغيرة من المفردات لا ترتبط جميعها بألفاظ الحياة العامة ومتطلبات الحضارة، إذ كثيراً ما تكون مما يمتّ لعهد مضى. ومن أجل ذلك، روي أن تغلب على لغة الكتب المقررة ألفاظ الحياة العامة ومتطلبات الحضارة، بما كان له أصل في العربية الفصيحة، بعد أن يُرد اللفظ إلى أصله الصحيح إن كان قد أصابه تحوير. وقد يرفد ذلك التوجه ويدعمه أن يوضع للطلبة معجم مصور يتواءم مع مستوياتهم، تثبت فيه مفردات لغوية ذات سمات معينة، وتوضح المفردة حيثما كان ذلك ممكناً بالصورة الملونة.

وإذ قد تنبه خبراء اللغة العربية على النطاق الأردني المحلي، والنطاق العربي إلى تقرير مطالب الحياة والعصر في التعليم اللغوي، فإن كلا الطرفين مع ذلك لا يغفل أهمية وصل الطالب العربي بترائه، كما يتبين من توصية خبراء في اللغة العربية، قاموا ببحوث في قضاياها على نطاق العالم العربي، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فأروا أن يجمع إلى الاهتمام بمطالب الحياة المعاصرة في الكتب العربية، الاعتزاز بالتراث العربي الإسلامي والإفادة منه، بما يلائم أطوار النمو في المراحل المختلفة. ومن المسلمات، أن على رأس المصادر التي ينبغي الإفادة منها في كتب اللغة العربية، مادة القرآن الكريم، ثم الحديث النبوي الشريف، على أن تدرس المادتان دراسة تدبر وتفهم واستيعاب.

وعلى النطاق العربي العام نفسه، وفي إطار النظر في وسائل النهوض باللغة العربية في الوطن العربي الكبير، رؤي أن من الضروري مراجعة كتب المواد المختلفة المقررة لجمعية لغوية لضمان سلامتها والتقريب بين مستوياتها ما أمكن ذلك، وأن يراعى في تأليف الكتاب المدرسي العناية بالجانب التربوي واللغوي، إلى جانب العناية بالمادة، وأن تجرى بحوث علمية، يمكن من خلالها مقاييس يعتمد عليها في توجيه مستويات الكتب المدرسية.

ومما يتصل بذلك، العناية بكتب اللغة العربية المدرسية، تأليفاً وإعداداً وإخراجاً وتوزيعاً، مما يتطلب استخدام التقنيات الحديثة من مختبرات ومسجلات وأجهزة في مراجعة هذه الكتب، ودراسة لأصول التأليف التربوية والنفسية والعلمية للصغار والكبار، وكذلك دراسة أساليب الإخراج.

ولما كانت الكلمة العربية قابلة لأن تقرأ على أشكال مختلفة حسب نوع الحركات التي تحرك بها حروفها، مع كل ما يتأتى عن هذا الاختلاف في القراءات من اختلاف في الدلالة والمعنى، فقد أصبح من الضروري والواجب، أن تُشكّل مفردات الكتب المدرسية شكلاً كلياً أو جزئياً، حسب مستوى المرحلة التعليمية التي يمر بها الطالب العربي في مسيرته الدراسية.

### ثالثاً: المعلمون وأساليب التدريس

إن الاتصال الشخصي بين المعلم والتلميذ سيبقى العنصر الأساسي في النشاط التعليمي، مهما تطورت وسائل التعليم والتقنيات التعليمية، وحيثما كان تعلم وتعليم في أي

بقعة من بقاع الأرض، يستوى في ذلك شأن البلاد المتقدمة في كل مرفق من مرفق الحياة، بما في ذلك مرفق العلم والتكنولوجيا، والبلاد النامية، والبلاد المتأخرة، ولذا فإن وجود المعلم الناجح شرط أساسي من شروط التعليم الناجح. ومن أجل ذلك، لا بدّ من تأمين عوامل النجاح ومقوماته لمن يعملون في مهنة التعليم.

ومن البديهيات، أن تكون الحصيلة المعرفية العميقة للمعلم في مادته شرطاً أساسياً لنجاحه في مهمته، ولكن هذه المعرفة في حدّ ذاتها ليست وحدها كافية لنجاح عملية التعليم، إذ لا بدّ أن يكون المعلم مهياً نفسياً للاضطلاع بمهمته، لأنها مهمة بذل وإيثار وعتاء وحب للناس وتفاعل وتعاطف معهم. ويبقى بعد ذلك أن يُعدّ المعلم فنياً ومهنيّاً لإقداره على أداء مهمته على الوجه الأفضل. وما دما هنا معنيين بمعلم اللغة العربية بصورة خاصة، فإننا لا بدّ أن نتمثّل مجموعة من الآراء التي تضمنتها استراتيجية تطوير التربية العربية التي وضعت بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ونذكر من هذه الآراء الاهتمام الخاص بمعلم اللغة العربية إعداداً وتدريباً وكماً وكيفاً، مع ملاحظة أن لكليات التربية دوراً كبيراً في هذا المجال، وأن ثمة ضرورة لتوحيد مصادر الإعداد، وتنسيق نظم التدريب، وتحقيق التكامل بينها وبين مصادر الإعداد للتربية المستمرة، وتقديم حوافز لاجتذاب العناصر الممتازة من الشباب للعمل في حقل تدريس اللغة العربية. وينبغي أن تنتهي عملية إعداد المعلمين بتخريجهم ومزاولتهم لأعمالهم، إذ لا بدّ من استمرار تدريبهم في أثناء الخدمة، مع الحرص على أن تتوافر فيهم وتنبث في نفوسهم مجموعة من المبادئ والأفكار اللازمة لعملهم، كأن يكونوا دعاة مبداء الجمع بين الأصالة والتجديد في التربية، وأن تكون برامج تدريبهم خلال الخدمة منطلقاً لتحقيق مبداء التربية المستديمة، وأن تكون مؤسسات الإعداد والتدريب وثيقة الصلة بالمجتمع ومؤسساته، والمؤسسات التربوية ذات الصلة ببرامجها على مستوى الجامعات، ولا سيما كليات التربية وبرامج الإعداد فيها، وعلى مستوى المدارس نفسها أيضاً. وتقضي مهنة المعلمين أن يواكبوا تطورات العلوم الأساسية التي تستند إليها التربية بميادينها الفلسفية والاجتماعية والنفسية، وأن يتبعوا الاتجاه التكاملي في التوفيق بين الجانب الأكاديمي والجانب التربوي المهني، وأن تشجع فيهم روح المبادرة والنزعة إلى التجديد. ولعلّ الكلية التي يخطط لإنشائها في الأردن، لتكون مؤسسة لتأهيل المعلمين، تأخذ جميع هذه الأمور بعين الاعتبار.

أما لغة التعليم في كل المستويات الدراسية، فينبغي أن تكون العربية الفصيحة، في مادة اللغة العربية وجميع المواد الأخرى، وينبغي أن تمارس هذه اللغة السليمة الفصيحة

في التدريس والكتابة والحوار مع الطلبة، وفي تلقي ما يصدر عن الطلبة، أنه من خلال الممارسة والاستعمال فقط، يمكن أن تصبح اللغة العربية الفصيحة السليمة لغة تلقائية يسرة للمعلم والطالب على السواء. وقد يحسن أن تقوم مؤسسات معينة في الأردن، كمجمع اللغة العربية الأردني، ووزارتنا التعليم العالي والتربية والتعليم، بتقديم جوائز تشجيعية إلى مدرسي اللغة العربية المتميزين في مستويات التعليم المختلفة، بما في ذلك التعليم الجامعي، وكذلك إلى كل متميز في استعمال اللغة العربية مشافهة وكتابة حيثما كان موقعه.

ومن المسلمّات أن من خصائص المعلم الناجح، أن يتبين الأساليب السليمة في التدريس. وأساليب التدريس متطورة غير جامدة، ومتنوعة غير نمطية ولا مفردة، وقد يكون مما يعين المعلم التوافق إلى المعرفة، أن يضع له المختصون بأساليب التدريس مصنفًا يحتوي أساليب مقترحة لتدريس اللغة العربية، يستفاد فيه من التجارب المحلية والعربية والعالمية، مع مراعاة السمات الخاصة للغة العربية. وإذا كان من الصعب اعتماد طريقة موحدة لتدريس مادة اللغة العربية، فإن من الممكن الجمع بين طرائق مختلفة لتدريسها حسب طبيعة الفرع الذي يدرس، ومستوى الطلبة الذين يدرسون. فثمة على سبيل المثال طرائق لتدريس قواعد اللغة بنماذج أدبية جذابة مشرقة، تعالج من خلالها قضايا النحو والصرف معًا، وتبين فيها الأنماط الأساسية للجمل العربية ويدير الطلبة عليها تدريبًا مباشرًا، مع الاهتمام بما يسمى النحو الوظيفي، وهو النحو المرتبط بالغرض من استعمال الجملة، وأنماط تركيبها، وعلاقات مفرداتها الواحدة منها بالأخرى، ودلالاتها، إلى غير ذلك. ومن المفيد جدًا أن تدعم عملية التدريب المدرسية ببرامج تلافزية وإذاعية مدروسة، وقد يربط الكتاب المدرسي في المرحلة الابتدائية، ولو جزئيًا، بأشرطة مسجلة لبعض نصوص الكتاب. وفي جميع الحالات، ينبغي أن يحرص المعلمون دائمًا على أن يقوم التلاميذ بدور في العملية التعليمية، وذلك بأن يعهد إليهم بالقيام بدراسات إضافية حول قضايا ترد في دروسهم، لكي لا يقتصر دور المعلم على التلقين وتقديم المعلومات المباشرة، ومن أجل أن يدخل في العملية التعليمية اضطلاع المعلم بتحديد الواجبات التي يقوم بها الطالب، ثم تقويم عمله بعد قيامه بهذه الواجبات، لكي يتدرب بصورة تدرجية على تحصيل المعلومات من خلال جهده وباستعمال الأدوات الخاصة به. ويرى كبار رجال التربية في العالم، أن دور المعلم بوصفه وسيطًا لنقل المعلومات وعريفًا للطلبة قد أخذ يقل، بينما يزداد دوره في تخطيط التعليم لطلابه.

وإذ قد قيل الكثير عن تيسير اللغة العربية، فإنه يجب التنبيه إلى أن عملية التيسير تعني، أو ينبغي أن تعني، تسهيل عملية تعليم العربية، لا إحداث تغييرات في نسق اللغة ونظمها الأساسية التي تحفظ لها كيانها وتضمن بقاءها واستمرارها. ومن البديهي والحالة هذه، أن نفرق بين مادة في قواعد اللغة تؤول للمتخصصين في اللغة، ومادة لغوية يقصد بها تمكين الدارسين من اللغة العربية الفصيحة الميسرة، التي يمكن أن يستعملوها داخل المؤسسة التعليمية وخارجها.

ولعلّ من الأمور المفيدة في أساليب التدريس الجامعي للغة العربية، أن نصرّ في الجامعات الأردنية على العودة مرة أخرى إلى نمط اتبع من قبل في العديد من الجامعات، وهو ضرورة تقديم الطالب قبيل تخرجه مشروعا للتخرج في اللغة العربية وآدابها، إذ إن مشروعا كهذا من شأنه أن يترجم عن مكتسبات الطالب في جميع فروع اللغة العربية، وأن يتبين من خلاله قدرة الطالب على توظيف تلك المكتسبات في إطار مادة متكاملة متماسكة تدور حول إحدى القضايا المحورية.

#### رابعاً: البحوث اللغوية:

بعد تطور علوم اللغويات والصوتيات، وتطور التقنيات المرتبطة بالمختبرات اللغوية، أصبحنا نسمع الكثير عن دور هذه العلوم والتقنيات المرتبطة بها في الدراسات اللغوية والوقوف على خصائص اللغات والطرق الناجحة في تدريسها. ولكن ذلك كله قد ارتبط في أذهاننا باللغات الأجنبية، أو باللغة العربية حين يجري تدريسها لغير الناطقين بها، ولم تبذل حتى الآن جهود عملية ملموسة للاستفادة من علوم اللغة والصوتيات والتقنيات المرتبطة بها في بحوث تتعلق باللغة العربية ووسائل تدريسها.

ونزرا لأهمية هذا الموضوع في النهوض باللغة العربية، فإنني أعود إلى اقتراح سبق لمجمع اللغة العربية الأردني أن تقدم به، وهو إنشاء فريق وطني في الأردن للغة العربية، يضم مختصين من وزارتي التربية والتعليم العالي، ومن الجامعات الأردنية ومجمع اللغة العربية الأردني بالإضافة إلى عدد من الأشخاص المتميزين في ميدان اللغات من خارج هذه المؤسسات، وتكون مهمة هذا الفريق الإشراف على الدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية وأساليب تدريسها، والإفادة مما توصل إليه الباحثون حينما كانوا في دراسة اللغات انتكاء على العلوم اللسانية والتقنيات الحديثة، من حيث أصواتها وتراكيبها الكشف عن خصائصها وتيسير تعلمها، وذلك بغية استيعاب نتائج هذه الدراسات والإفادة منها

في وضع الكتب المقررة، وفي إعداد المعلمين وتدريبهم، وفي نشر الصيغ اللغوية الصحيحة بين الناس واعتمادها في وسائل الإعلام. وينتظر من فريق كهذا إذا ما تم تشكيله، أن يعمل على تنسيق جهوده مع جهود الجامعات العربية والجامعات الأردنية والعربية، وأن يفيد من أي تجربة عربية حيثما كانت للنهوض باللغة العربية وأساليب تدريسها. وقد يستذكر المرء هنا الجهود التي بذلتا ليبيا وتونس والجزائر والمغرب في رصد المفردات اللغوية التي تستعمل في مراحل تعليمية معينة، ومركز تطوير تدريس اللغة العربية التي بدأت جامعة عين شمس تنفيذه منذ أكثر من عشرين سنة. وقد أصبح من الواجب الآن، أن نستخدم في الأردن التقنيات الحديثة من مختبرات ومسجلات وأجهزة في تعليم اللغة العربية وفي مراجعة الكتب المدرسية، وتشجيع الطلبة على التعلم الذاتي، بدلا من أن تحصر هذه التقنيات في تدريس اللغات الأجنبية. وقد لا نكون مفرطين في تصوراتنا وتطلعاتنا إذا نحن طمحنا إلى أن تعمم المختبرات اللغوية في المؤسسات العلمية والتعليمية الكبيرة في الأردن، وأن يكون من وجوه استعمال هذه المختبرات اتباع وسائل حديثة في التقويم وفي قياس المهارات والاستيعاب والاستنتاج والحلّ والتركيب. وهنا ينبغي أن نكرر القول إننا نكرر القول إننا في حاجة إلى توجيه المزيد من العناية إلى إجراء التجارب والدراسات والبحوث العلمية التي يعتمد عليها في بناء المناهج وتقويمها، وفي تأليف الكتب واختيار أساليب التدريس، والى توفير القياس الموضوعية، والاستعانة في ذلك بمراكز البحوث التربوية.

ومن الأمور البديهية، أن نعمل على توجيه الدراسات اللغوية نحو دراسة اللغة العربية الواحدة الموحدة، وهي اللغة الفصيحة، ونحو وضع البرامج التي تجعل من العربية الفصيحة ما أمكن، لغة تكتسب اكتساباً في حياة الناس عن طريق الاستعمال والممارسة، لا لغة يجهد في تعلمها وكأنها لغة جديدة تضاف إلى اللغة التي يمارسها الإنسان العربي في حياته. ومثل هذه الدراسات ستكون عوناً على وضع معجم في ألفاظ الحياة الحضارية، يضم من الألفاظ ما كان شائعا ولع أصل في العربية الفصيحة، أو ما كان معرباً ومتقبلاً للموازين الصرفية العربية. وإذ ندرك أن بحوثاً ودراسات قد أجريت مثلاً على عدد من اللغات الحية وعلى وسائل تدريسها، فإن من الطبيعي أن نفيد من هذه البحوث والدراسات التي سبقنا إليها، لأن ثمة عوامل مشتركة في الدراسات اللغوية، على الرغم من اختلاف اللغات التي كانت موضع الدراسة.

وهنا لا بدّ أن أستذكر فكرة كانت لدى مجمع اللغة العربية الأردني، ولكنها لم تجد سبيلها إلى التنفيذ حتى الآن، وهي فكرة وضع "مرشد" في اللغة العربية، يحتوي من قضايا اللغة على ما لا غنى عنه للإنسان العربي حيثما كان موقعه، على أن ترتب هذه القضايا ترتيباً فهرسياً يسهل الرجوع إليها. وأمل أن يستطیع المجمع نقل هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ في وقت غير بعيد.

#### خامساً: التعريب.

جاء في تقرير أعد عام 1976، تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعنوان "استراتيجية تطوير التربية العربية" ما يلي عن التعريب:

'يراد به (بالتعريب)، أثر من اعتماد اللغة العربية في سائر مراحل التعليم، أداة للتفكير والتعبير... ولكن المعاني الأوسع التي نقصدها من التعريب، تشمل تعريب الإدارة والتشريع، وتعريب الثقافة وما ينطوي عليه من أساليب المعيشة وأنماط السلوك، وبالتالي تعريب الشخصية العربية. وتعريب الثقافة، يعني بين ما يعني، العناية باللغة العربية أداة للتعبير والتفكير في النتاج الأدبي والفني، وفي وسائل الإعلام وفي مراسلات المؤسسات، حتى تسري القدرة منها إلى البيت والنادي، وبالتالي لكي تضيق الفجوة بين الفصيحة والعامية، بتتقية العامية وتأصيلها وردها إلى الفصيحة، ونشر التعليم والثقافة العامة... وتعريب الثقافة يعني جعل الحياة العربية في حقيقتها مادة للآداب والفنون...، كما يعني تحصين الناشئين من السيل الغامر من الثقافات الأجنبية غير الملائمة لطبيعة الحياة العربية... ويسري ذلك على آداب السلوك في نطاق الأسرة ومؤسسات التعليم والعمل".

والحديث عن أثر التعريب في النهوض باللغة العربية في الأردن، نافلة من النوافل، والحديث عن القرارات السابقة التي صدرت حول التعريب عن مؤتمرات واجتماعات وحلقات ولجان عربية، حديث معاد، ومثل ذلك الحديث عن فوائد التعليم من النواحي القومية والعلمية والتعليمية والاجتماعية، وعن طرائق التعريب ووسائله، ومن الحق أن أقول إن مجمع اللغة العربية الأردني قد بذل في سبيل الدعوة إلى التعريب ما هو زائد عن حجه إمكانياته، فقد دعا إليه في منشوراته، وفي كل مناسبة وموسم ثقافي، وعرب الآلاف من المصطلحات الأجنبية، وطلب من الجامعات العربية أن تخصص مقرراً دراسياً للمصطلح العربي، التراثي منه والحديث، وترجم حتى الآن ثمانية عشر كتاباً

علمياً من الانجليزية إلى العربية، وأفاد في هذه السبيل من جميع وسائل الإعلام الأردنية، من صحيفة ومذيع وتلفاز، في إطار برامج مخططة من أجل أن يسمع صوته لمختلف الناس بمختلف الوسائل. ولكنه يبقى مع ذلك، بحاجة إلى تعاون ومعاوضة من مؤسسات كثيرة، وعلى رأس هذه المؤسسات الجامعات الأردنية، بمن فيها من أعضاء الهيئات التدريسية، من أجل أن يوصل بالأمر إلى ما نبتغيه جميعاً من جعل العربية لغة العلم والحياة، في بلد لم يعرف إلا العربية لغة له منذ آلاف السنين.

ولقد كنا في مجمع اللغة العربية الأردني، نؤمن بأن يكون الأردن، هو البلد الذي يتم فيه إنشاء جهاز لتعريب التعليم العالي، لكي يقوم ضمن ما يقوم به، بمشاركة من الأقطار العربية، وبالتعاون على وجه الخصوص مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بمشروع عربي متكامل لترجمة الكتب الجامعية، على أن تتعدد اللغات المترجم عنها، ليكون الانفتاح وافياً على تطوير المعرفة مضموناً ومنهجاً وأسلوباً واتجاهات اجتماعية وثقافية. وقد يتسع هذا المشروع، كما ترى المنظمة العربية، ليشمل تلخيص البحوث العلمية في اللغات الحية وتوثيقها ونشرها في الوطن العربي. وقد يكون من الممكن أن تشارك منظمة اليونسكو الدولية في تمويل مثل هذا الجهاز، نظراً لإيمان المسؤولين فيها بأهمية التدريس باللغة القومية. وقد سبق لليونسكو أن أنشأت عام 1972 مركزاً للتعليم العالي في بخارست، ولذا لن يكون بدعاً أن تتعاون اليونسكو في إنشاء مركز أو جهاز في الأردن لتعريب التعليم العالي. والمعروف الآن أن سوريا ستكون البلد الذي يقام فيه هذا الجهاز، بعد أن اتفق على ذلك في إطار الجامعة العربية، ومنظمة التربية والثقافة والعلوم المنبثقة عنها.

ومن الواجب أن أذكر هنا في مجال الحديث عن التعريب، أن مجمع اللغة العربية الأردني كان قد قدّم منذ بضع سنين، مشروع قانون للغة العربية، غير أن هذا المشروع لم يجد سبيله بعد إلى الدراسة والإقرار، لكي يتحول إلى قانون يلتزم بنصوصه.

#### سادساً: مقترحات عامة

أقصد بالمقترحات العامة، تلك التي لا تتحصر صلتها بالتعليم في مستوياته المختلفة، إذ قد تتصل بمسارب مختلفة في حياة الناس بهذا البلد، وإن كانت لا بدّ أن يكون لها أثرها في كل منشط من مناشط الناس في مختلف مواقعهم.

وإذ يدرك كل منها أن الأمانى الطيبة وحدها لا تكفي للوصول الإنسان إلى ما يتمنى، وإذ يستذكر كذلك القول المأثور المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه في أن الله يزج بالسلطان ما لا يزج بالقرآن، فإنه يتطلع إلى أن تتحول قضية اللغة العربية والحفاظ عليها والنهوض بها إلى عمل تشريعي، يتمثل كما أسلفنا في قانون تصدره الدولة للحفاظ على سلامة اللغة العربية، واعتماد العربية الفصيحة في الإدارة والتشريع والتعليم والحياة عامة كما فعلت عدة دول، ومنها فرنسا والجزائر والعراق. ولا ريب أن تشريعاً يصدر عن الدولة في الحفاظ على سلامة اللغة العربية سيكون من شأنه تعاون جميع أجهزة الدولة ومؤسساتها لتأكيد أهمية العربية واستخدامها في جميع المجالات، وإعطائها الأولوية في المعاملات اليومية والرسمية والتراسل والإعلان وفي جميع المؤسسات غير التربوية. وقد يبنى على صدور تشريع كهذا أن يكون التمكن من اللغة العربية شرطاً في التعيين في وظائف الدولة والمؤسسات العامة، وأن يكون في كل مؤسسة حكومية أو غير حكومية، مدقق لغوي يضطلع بمهمة الاستيثاق من سلامة اللغة التي تصدر عن المؤسسة المعنية. وفي هذه الحالة، تقوم حاجة إلى استثمار جهود المجامع العربية باستطلاع المصطلحات التي أقرتها، واستعمالها في الحياة العلمية والعملية، مما يضمن لها أن تُؤلف وتُسَهَّل من خلال الممارسة. وإذ ذلك، فإن العربية الفصيحة الميسرة، ينبغي أن تمتد إلى المسرح والأغنية والسينما والمسلسل التلفازي، بكل ما ينشأ عن ذلك من أثر في النهوض بالعربية السليمة. وستختفي نتيجة تشريع كهذا، اللافقات وأسماء المحال والفنادق وغيرها، وكل وجوه الإعلان المكتوبة بلغة أجنبية، وبذا تجنب لغتنا العربية التعرض لهيمنة لغوية أجنبية تخل بأصولها.

وإذا كنا الآن نشكو من تدن في مستوى اللغة العربية بين دارسيها ومتعلميها، ونبحث عن سبل لرفع هذا المستوى، فإن من الأولى أن نشكو من هبوط مفرد في هذا المستوى عند من لم ينالوا أي حظ من الثقافة. أي عند الأميين في هذا البلد. ذلك أن عامية الأميين تقع في الدرك الأسفل من المستويات اللغوية إذا ما أخذنا بالتصنيف الذي يقسم مستويات العربية في عصرنا هذا إلى خمسة أقسام، هي: فصحي التراث، وفصحي العصر، ولغة المثقفين، ولغة المتتورين، وعامية الأميين. وقد سبق أن ذكرنا أن نسبة الأمية في الأردن حسب نتائج الإحصاء السكاني الذي جرى في 79/11/10 هي 34.6% من مجموع السكان الذين تزيد أعمارهم على 15 سنة، وأن من المعقول الافتراض أن هذه النسبة قد هبطت إلى 26% عام 1987، إذا قبلنا الفرضية القائلة أن

الأمية تهبط في هذا البلد بنسبة 1% كل سنة. وأمام هذه الحقائق والأرقام، يكون من الأمور الطبيعية والمنطقية أن يدعى إلى مكافحة الأمية في الأردن، باعتبار ذلك سبيلاً مهماً من سبل النهوض باللغة العربية في هذا البلد. ونحن ندرك أن وزارة التربية والتعليم في الأردن، هي الجهة المعنية أصلاً بإزالة الأمية بالتعاون مع أجهزة مختلفة. غير أن من الممكن أن نحدث تسارعاً في عملية محو الأمية عن طريق تجنيد عناصر مختلفة بالإضافة إلى عناصر وزارة التربية والتعليم، كأن نشجع عدداً من الكليات الجامعية في الأردن على وضع مشروعات لمحو الأمية ينفذها طلبتها خلال عطلاتهم وأوقات فراغهم، وكأن أن يكلف الأبناء والبنات تعليم آبائهم وأمهاتهم إن كانوا من الأميين، وأن يطلب من كل متخرج جامعي إزالة أمية عدد محدد من الأشخاص، ويعتبر قيامه بهذه المهمة متطلباً من متطلبات تعيينه في وظائف الدولة.

ومما يتصل بالنهوض بمستوى اللغة العربية في الأردن، ما يرتبط بعملية التعليم المستمر، وهو ذلك التعليم الذي يتجاوز مرحلة الدراسة في مؤسسات تعليمية في سن معينة، إلى إدامة الدراسة والتحصيل عبر سني العمر، مما يتسق مع فحوى القول المأثور في طلب العلم من المهد إلى اللحد. وثمة رأي تربوي حديث مفاده أنه كلما كان القسط الذي يناله الفرد من التعلّم أوفر، كان بحث هذا الفرد عن المزيد من التعلّم في سنوات لاحقة أوفر كذلك. وقد يتسق هذا مع المثل الانجليزي: *The more learn, the more you like to learn* ومن أجل هذا يعطي أصحاب الرأي المذكور أولوية خاصة لتعليم الكبار، ويرون أن التوسع الكبير في هذا التعليم مما هو منتظر في المستقبل، نظراً للتفجر المعرفي القائم في زمننا هذا، وبسبب بروز اتجاه واضح نحو نوع من المواطنة العالية، وازدياد أوقات الفراغ، والرحلات، وما يثيره جهاز التلفاز في نفوس مشاهديه من توق إلى المعرفة، بسبب ما يعرضه من مناظر، ويقدمه من معارف. ويرى بعض من كتبوا عن مستقبل التربية في العالم أن اللغة القومية سيكون لها مكانة خاصة من العملية التربوية، لأن التركيز الأساسي في التربية سوف يتحول من المواضيع التي تحتاج إلى حفظ المادة إلى المواضيع التي تحتاج إلى مهارات، مثل اللغة القومية والرياضيات، وهم لذلك يرون ضرورة التركيز إلى حدّ كبير على تطوير مهارات الاتصال بين الناس، وهي اللغات، بحيث يتمكن أكبر عدد من المواطنين أن يتكلموا لغة واحدة، لكي يستطيع بعضهم أن يفهم بعضهم الآخر بصورة جيدة. وفي إطار الثورة الالكترونية التي نعيش فيها، أصبح من الممكن تقديم تسهيلات لتزويد الأفراد بالتعليم في البيت أو في مكان

العمل، وذلك باستخدام المذياع وأشرطة التسجيل والتلفاز والحاسوب، وغيرها من الأجهزة الإلكترونية.

ومما يتصل بالتعليم المستمر الذي من شأنه أن يشيع اللغة السليمة، ولا يفرق بين المتعلمين على أساس من أعمارهم ومستوياتهم الثقافية، إقامة جامعة مفتوحة في الأردن، على غرار الجامعات المفتوحة القائمة في أقطار كثيرة في شرق العالم وغربه، من مثل الجامعة البريطانية في أوروبا، وجامعة تايلاند في الشرق الأقصى وغيرهما، لأن مثل هذه الجامعات لا تقف أمام موادها التعليمية حواجز جغرافية أو سياسية أو معوقات إجرائية، مما يتيح لكل راغب في التعلم أن يتلقى ويستوعب ويستزيد من المعرفة. ومثل هذه الجامعة كانت منذ عام 1976، فكرةً تجول في خواطر العاملين في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المنبثقة عن الجامعة العربية، وكانوا يتمثلون فيها مؤسسة علمية تعتمد على الأساليب المتعددة في إيصال المعرفة لطالبيها، وتفتح للشباب والكبار فرص التعليم العالي، وتيسر انتفاعهم من وحدة اللغة والثقافة، وتتيح لأبناء العرب، ولا سيما أبناء فلسطين المحتلة فرصة التعويض عن الكبت الثقافي الذي تمارسه سلطات الاحتلال ضدهم، وذلك بتكليف دراسات وأسابيلها لأحوالهم الخاصة. وإذا كان أبناء العرب حينما كانوا يحتاجون إلى أن يتلقوا العلم في مختلف مجالاته بلغة عربية سليمة تتواءم مع هوياتهم الثقافية العربية، فإن من يتعرضون بمختلف الأساليب لإذابة هويتهم العربية، هم أحوج الناس إلى هذا النوع من العلم، وإلى ثقافة عربية تحفظ عليهم انتماءهم العربي وخصائصهم الفكرية والوجدانية التي تميزهم عن المحتلين. ومعروف أن في عمان الآن مؤسسة تعليمية تحمل اسم جامعة القدس المفتوحة، وهي الآن في مرحلة إعداد واستعداد، ويؤمل أن تكون في مستقبل غير بعيد عاملاً مهماً من عوامل النهوض باللغة العربية، حينما وصل صوتها وحيثما تصل موادها التعليمية، وذلك بصيغ موادها التعليمية بالصيغة العربية، وباعتمادها العربية السليمة الفصيحة لغة الأداء عن هذه المواد.

وفي حديثنا عن التعلّم بأشكاله المختلفة، بات. علينا الآن أن نعترف أن المعرفة التي كانت تكتسب اكتساباً تلقائياً من البيئة، أو تستفاد تعلماً من المؤسسة التعليمية، قد أصبح لها مصادر أخرى قوية مؤثرة، هي وسائل الأعلام المختلفة، بعد أن تحولت البيئة الثقافية في عصرنا هذا إلى حد كبير كما أسلفنا إلى بيئة إلكترونية، وبعد أن أصبح أثرها كبيراً على الطلاب في مختلف مستوياتهم، وعلى الناس عامة. ولذا فإن من تجاهل

الحقائق القائمة ألا تدخل في حسابنا أجهزة الأعلام الحديثة، عندما نتلمس السبيل إلى النهوض باللغة العربية في المجتمع المحلي الذي نعيش فيه.

والإفادة من وسائل الإعلام في النهوض باللغة العربية، يمكن أن تشمل الصغار والكبار معا إذا أحسن التخطيط لها. ذلك أن هذه الوسائل يمكن أن تنقل المعارف للأطفال بسهولة ويسر، بلغة يفهمونها ولا تبتعد عن الفصيحة الميسرة، عن طريق إنتاج مسلسلات تلفازية وإذاعية لتعليم المبتدئين، ينشر من خلالها النمط اللغوي السليم وبشيع على ألسنة الناس. وهنا ينبغي أن نتذكر أن الأدب الشفوي له أثر خاص في تكوين لغة عامة. واللغة التي تنطلق من إذاعة أو تلفاز أو شريط مسجل، إنما هي أدب شفوي، يسمعه الناس على اختلاف أماكن وجودهم وأعمارهم ومستوياتهم الثقافية. ومن البديهيات أن نتوقع من رجال الأعلام في أي موقع كانوا، أن يكونوا هم أنفسهم من المتمكنين من اللغة، وإلا استوجب الأمر أن تعقد لهم دورات مكثفة في أمور اللغة قبل أن يمارسوا أعمالهم، وقد يستوجب الأمر تعيين لغويين في دوائر الصحافة والإذاعة والتلفاز، يوكل إليهم أمر مراجعة النصوص في البرامج المختلفة، سواء أكانت إخبارية أم ثقافية أم ترفيهية، وذلك من أجل ضبطها قبل بثها. والواقع أننا ما زلنا في الأردن، كما ذكرنا من قبل، نفتقد الإعلامي الذي يجمع في شخصه المهارة اللغوية والإعلامية والعلمية، مع أن مثل هؤلاء الإعلاميين القديرين موجودون في كل مؤسسة إعلامية في أوروبا وأميركا، وقد أصبحت لهم مكانتهم في المجتمع لما يستمتعون به من حذق ولباقة وقدرة على الحوار الذكي، ومعرفة بطبيعة المادة التي يتناولونها في وسائل الأعلام.

وإذا كانت مواد البرامج التي تصدر عن وسائل الإعلام يمكن أن تقسم إلى إعلام وثقافة وترفيه، فإن أثر البرامج ذات الصبغة التثقيفية على المشاهد في البلدان النامية، قد بلغ نسبا عالية، وأصبح له من التأثير على الطلبة في مستويات التعليم المختلفة، ما يكاد يقارب أثر معلمي هؤلاء الطلبة. وحينما أجري استفتاء في المملكة العربية السعودية عن تأثير البرامج الثقافية التي تصدر عن أجهزة الإعلام، تبين أن 44% من الذين شاركوا في الاستفتاء قالوا إن أثرها قوي، في حين ذكر 36% منهم أن متوسط، وتراوحت آراء الباقيين بين درجات مختلفة من التأثير، أو عدم الوضوح في اتجاهاتهم.

ويقتضي الوعي لحركة العصر وأثر العلم والتقنيات الحديثة في حياتنا أن نأخذ في الحسبان انفجار المعرفة الإنسانية، مما يزيد في تعقيد مشكلة تنظيم المعلومات وخبزنها. وفي نطاق البيئة الالكترونية التي أخذت تتول إليها البيئة الثقافية، علينا أن ننتبه إلى هذا

الجهاز الإلكتروني القوي الذي أخذ يدخل في جميع مرافق الحياة المعاصرة: ذلك هو الحاسوب أو الكمبيوتر. وهذا الجهاز الفاعل المؤثر، كأبي جهاز آخر، يمكن الإفادة منه أو عدم الإفادة، بحسب ما نعد له من برامج لتدخل فيه. ومثلما يمكن أن يستعمل استعمالاً مفرطاً للألعاب الإلكترونية وأشكال الترفيه الاجتماعية المختلفة مثلاً، يمكن كذلك أن يستخدم بصورة مفيدة لتعليم اللغة القومية أو للاستزادة من المعارف اللغوية، وسوف يكون له على أية حال دور كبير في حياتنا ومجتمعنا. وعماً قريب، سيصبح من لا يعرف شيئاً عنه وعن أوجه استعماله، ولو بصورة مبدئية متخلفاً عن العصر الذي يعيش فيه. ومرة أخرى ننبه إلى أن نسبة من يتعرضون لوسائل الإعلام من السكان في الأردن تزداد بازدياد النزوح إلى المدن، إذ بلغت نسبة سكان المدن منذ ثلاث سنوات 42% من مجموع سكان الأردن.

وقد يكون من الملائم والمفيد أن أختتم هذا الجهد المتواضع بلملمة مجموعة من الأفكار بعد هذا التطواف في قضايا اللغة العربية ووسائل النهوض بها في الأردن، دون الادعاء بأنها جميعاً أفكار مبتكرة لم أسبق إليها. ومن هذه الأفكار الدعوة إلى أن تشجع وزارة الثقافة في الأردن والمؤسسات الثقافية الأخرى والإبداع والابتكار والبحوث والدراسات اللغوية والأدبية، وأن يجري تبادل للمعلومات والتجارب والخبرات والمواد والوسائل التربوية على المستويات القطرية والقومية لتطوير تدريس اللغة العربية، ويقتضي ذلك التعاون مع اليونيسكو والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ومع هذا التبادل للمعلومات والخبرات، ينبغي أن يكون تبادل للطلبة والمعلمين والموجهين والأساتذة والخبراء والإعلاميين الذين لهم اهتمام خاص باللغة العربية وأساليب تدريسها. وعملية الانفتاح لغوياً على العالم خارج الأردن، وخارج أقطار الوطن العربي، يقتضي تشجيع الترجمة إلى العربية في مختلف ميادين المعرفة، لأن الترجمة إلى العربية، فوق ما تجلبه من فوائد معرفية، تغني اللغة العربية، وتطوعها للتعبير عن مختلف المعارف المعاصرة، وتنوع أساليبها وأنماط التعبير فيها. ولعلّ شيوع الترجمات الرصينة السليمة المنضبطة بالأصول الأكاديمية مما يساعد على إشاعة كتابة المقالات والبحوث بلغة عربية تتوافر لها السمات المتعارف عليها في الكتابات العلمية.

وإذ نسمع في الجامعة الأردنية بصورة متكررة شكوى الأساتذة الجامعيين من تدني المستوى اللغوي لدى الطلبة القادمين إلى الجامعة من المدارس الأردنية، فإنني أقول مع المشاركين في الندوة التي عقدت في مركز الأبحاث الإسلامية التابع لكلية الآداب في

جامعة القدس تحت عنوان: "حاضر اللغة العربية وأساليب تدريسها في الجامعات الفلسطينية" في الفترة 27-28 آذار 1987، إن من الضروري أن يدعى معلمو اللغة العربية في المدارس إلى مناقشة حاضر اللغة العربية في مدارسهم ونقل نتائج المناقشة إلى التطبيق في المدارس، لأن التعليم الجامعي امتداد للتعليم العام، ولا ريب في أن اطلاع أساتذة الجامعات على نتائج هذه المناقشات، سوف يكون عوناً لهم في تقويم لغة طلبتهم وتقويتها.

وبعد، فالحديث في هذا الموضوع الكبير ذو شجون، ولا أشك في أنني عالجت شيئاً وغابت عني أشياء، أو لم يتسع الوقت والحيز لهذه الأشياء. وفوق كل ذي علم عليم.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

### قائمة بالكتب والتقارير والبحوث والمراجع المختلفة التي أفدت منها في كتابة هذه المحاضرة

- ١ - اجتماع خبراء في تعليم اللغة العربية لتحديد مشكلات تعليمها وترتيب أولوياتها واقتراح خطط لبحثها، عمان 2-7 تشرين الثاني 1974.
- ٢ - إحصاء الطلبة الأردنيين في مؤسسات التعليم العالي خارج الأردن للعام الدراسي 84/85، إعداد قسم المعلومات والإحصاء في وزارة التعليم العالي الأردنية، تشرين الثاني 1985.
- ٣ - استراتيجية تطوير التربية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تشرين الثاني، 1976.
- ٤ - تعليمات أسس النجاح والإكمال والرسوب، في المرحلتين الإلزامية والثانوية ومراكز التدريب، رقم 1/34/1985، تاريخ 1/7/1987، الصادرة عن وزارة التربية والتعليم الأردنية.

- ٥ - تعليمات أسس النجاح والإكمال والرسوب في المرحلتين الإلزامية والثانوية ومراكز التدريب، الصادرة عن وزارة التربية والتعليم الأردنية، رقم 59955/34/1 تاريخ 1987/11/24.
- ٦ - التربية والتعليم في المجتمع العربي، د. غانم العبيدي، فصل من كتاب "دراسات في المجتمع العربي"، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، ط1، عمان 1985م.
- ٧ - التربية والتعليم في عام 2000، تأليف تورستن هيوستن، ترجمة السيدة إحسان أبو غربية، عمان، 1975.
- ٨ - تدريس اللغة العربية لأغراض أكاديمية في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة، د. وفيق حسن دوشق، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ( 30 ) كانون الثاني - حزيران 1986.
- ٩ - التقرير الإحصائي السنوي عن التعليم العالي في الأردن، للعام الدراسي 85/1984، إعداد قسم المعلومات والإحصاء، وزارة التعليم العالي الأردنية، عما، 1985م.
- ١٠ - تقرير لجنة خبراء اللغة العربية المقدم إلى المؤتمر الوطني للتطوير التربوي، الذي عقد في عمان، من 6 إلى 7 أيلول 1987م.
- ١١ - تيسير العربية بين القديم والحديث، د. عبدالكريم خليفة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1986م.
- ١٢ - الخطط الدراسية للمرحلة الثانوية، تعميم وزارة التربية والتعليم الأردنية، رقم 39373/34/1 تاريخ 1987/9/2.
- ١٣ - الخطوط العريضة لمناهج اللغة العربية في المرحلة الإلزامية، وزارة التربية والتعليم الأردنية، مديرية المناهج والوسائل التعليمية (بلا تاريخ).
- ١٤ - خلاصات إحصائية عن أعداد الطلبة الأردنيين في مؤسسات التعليم العالي خارج الأردن، للعام الدراسي 86/85، وزارة التعليم العالي الأردنية، إعداد قسم المعلومات والإحصاء، كانون الثاني 1987م.

- ١٥ خلاصات إحصائية عن التعليم العالي في الضفة الغربية من الأردن، للعام الدراسي 86/85، إعداد قسم المعلومات والإحصاء، وزارة التعليم العالي الأردنية، كانون الأول، 1986م.
- ١٦ -خلاصات إحصائية عن التعليم العالي في الأردن لعام 86/85، إعداد قسم المعلومات والإحصاء في وزارة التعليم العالي الأردنية، آذار، 1986م.
- ١٧ محور اللغة العربية في المجتمع العربي، د. محمود إبراهيم، فصل في كتاب (دراسات في المجتمع العربي) الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، ط1، عمان، 1985م.
- ١٨ كليات المجتمع المرخصة، موزعة حسب السلطة المشرفة والموقع، كما هي في 1987/11/1، وزارة التربية والتعليم العالي الأردنية.
- ١٩ لغة التعليم العالي في الجامعات العربية، د. محمد راجي الزغول و د. رياض فائز حسين، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 33، السنة 11، تموز كانون الأول، 1987م.
- ٢٠ المؤتمر الوطني للتطوير التربوي، عمان، 6-7 أيلول 1987، التقرير والتوصيات المنبثقة عنه.
- ٢١ للمباحث المقررة للصفوف الأول الثانوي الأكاديمي، والثاني والثالث الثانويين في الفرعين الأدبي والعلمي للعام الدراسي 1988/1987، ملاحق وزارة التربية والتعليم الأردنية.
- ٢٢ محاولات توحيد وتطوير المناهج الدراسية في البلاد العربية، دراسة ميدانية، الكويت، حزيران، 1981م.
- ٢٣ -المجتمع الإنساني، د. إحسان محمد الحسن، فصل في كتاب "دراسات في المجتمع العربي"، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، ط1، عمان، 1985م.
- ٢٤ -مقومات المجتمع العربي، د. عبدالرحمن خليفة، فصل في كتاب "دراسات في المجتمع العربي"، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، ط1، عمان، 1985.

- ٢٥ - ندوة الازدواجية في اللغة العربية، عقدت في مجمع اللغة العربية، عمان، 21-23 نيسان 1987، التقرير والتوصيات.
- ٢٦ - ندوة مركز الأبحاث الإسلامية التابع لكلية الآداب في القدس، عقدت بتاريخ 27-28 آذار 1987، بعنوان: "حاضر اللغة العربية وأساليب تدريسها في الجامعات الفلسطينية".
- ٢٧ - واقع التشكيلات المدرسة للعام الدراسي 1987/1988، وزارة التربية والتعليم الأردنية، عمان، تشرين الأول 1987م.
- ٢٨ - واقع التشكيلات المدرسية في 1/11/1986، مديرية الإحصاء التربوي، وزارة التربية والتعليم الأردنية، تشرين الثاني، 1986م.
- ٢٩ - وزارة التعليم العالي الأردنية، معلومات مستقاة بالهاتف من الموظف المختص.
- ٣٠ - وزارة التربية والتعليم الأردنية، معلومات مستقاة بالهاتف من الموظف المختص.